

## سياسة حمودة باشا الخارجية ( 1782-1814م)

أ/ رزيقة محمدي / جامعة الجزائر -2-

## الملخص :

يهدف هذا المقال الى تبيان مختلف العلاقات ، ونقصد بها (السياسية، الدبلوماسية والتجارية ) التي كانت بين ايةالة تونس وبعض الدول الأوروبية وبالتحديد (البندقية ،الدانمارك، الجزائر الايطالية، النمسا ، هولندا والبرتغال) .

حيث يوضح هذا المقال الذي نضعه بين ايدي قراءنا، الطابع الذي ميّز العلاقات التونسية الأوربية في عهد الباي حمودة باشا ( 1782-1814م). والتي تأرجحت بين السلم تارة والحرب تارة أخرى . كان ذلك حسب ما تُمليه الأوضاع والظروف الدولية والمحلية .

وسنكشف من خلاله مدى تأثير تلك العلاقات على الأوضاع الداخلية للايةالة ، ورغبة الباي في استغلالها لتحسين أوضاع البلاد والعباد .وفي المقابل رفع تحديات على المستوى الخارجي ، وإبراز مكانة الايةالة في الساحة الدولية .

**Résumé :**

Le but de cet article vise a démontrer les différentes relations (diplomatique, politique, commerciale ) qui étaient entre la régence de Tunis et quelques pays européens et spécialement ( Venis, Danemark ,les iles Italiennes, Napoli, Sécile, Livourne , Autriche, Hollande, Portugal ). D'où cet article que nous mettons a votre disposition ainsi qu'a la disposition de notre lecteur, vise à démontrer les relations euro-tunisiennes à l'ère de Hammond Pacha ( 1782-1814) qui se caractérise par une période de paix et des périodes de guerre.

En fonction des évènements. Nous découvrirons par la suite la répercutions de ses relations sur la situation interne de la régence et la tendance du Bey à les gérer à son profit et par conséquent relever le déficit à un niveau externe et placer sa régence a haut niveau.

### مقدمة :

تعد فترة حكم الباي حمودة باشا، من ازهى عصور التاريخ التونسي الحديث ، فالدارسون لهذه الفترة يجدونها حافلة بالعديد من الخصائص التي ميزتها عن الفترات السابقة. فقد كانت فترة ترمز للتقدم والازدهار في شتى المجالات . حتى ان الكثير المؤرخين اطلقوا على فترة حكمه الباي بالفترة الذهبية .

فقد قام هذا الباي بتقديم الكثير لبلده من خلال الاصلاحات التي شرع في تطبيقها على مختلف المجالات، وكان هذا بهدف النهوض بالسياسة الداخلية للبلاد هذا من جهة ، اما من جهة اخرى فكان لا بد ان يساير النهضة الداخلية بنهضة ايضا خارجية ، التي كان هدفها هو ابراز مكانة ايالة تونس في ساحة العلاقات الدولية وفرض هيبتها في عرض البحر الابيض المتوسط.

تمثلت سياسة حمودة باشا الخارجية في اقامته لعلاقات متنوعة ( سياسية ، دبلوماسية وتجارية ) مع دول اجنبية ، على راسها الدول الاوربية<sup>1</sup> بحكم قربها الجغرافي . واخص بالذكر هنا ( البندقية ، الجزائر الايطالية ، الدانمارك ، النمسا ، هولندا والبرتغال ) .

ومن هنا نطرح الاشكال التالي: ماهو طابع العلاقات التي جمعت بين ايالة تونس والدول الاوربية؟ هل كان لها تاثير على السياسة الداخلية للبلاد ؟ هل استطاع الباي اغتنامها لتحقيق ما كان يسعى اليه ؟ كل هذه التساؤلات وغيرها سنحاول الاجابة عليها في دراستنا هته التي نضعها بين ايدي قُراءنا .

## 1/ مع البندقية :

## أ/ العلاقات السياسية والدبلوماسية:

الطابع الذي ميّز العلاقات بين الدولتين هو طابع التوتر الذي صبغه حالة الحروب، حيث كان يسعى الباي في كثير من الأحيان اللجوء إلى هذه السياسة لحماية تجار وتجارة إبالته. فبعد فترة زمنية صغيرة من حكمه ، قام الباي حمودة بمطالبة حكومة البندقية بتعويضات عن حمولة السفينة التي أحرقت خلال فترة حكم والده علي باي<sup>2</sup>. لكن كل تلك المطالب والشكاوي لم تجد آذانا صاغية من طرف الحكومة، بل أكثر من ذلك استمر تجار البندقية في عنادهم واستفزاهم للحمولات التجارية التونسية التي كانت تؤخذ على متن سفنهم.

ومن أهم تلك الاعتداءات إغراقهم لسفينة بندقية عليها بضاعة تونسية، وعدم سماح القبطان البندقي للتونسيين بإنقاذها. فقام التجار التونسيين بإبلاغ حمودة باشا بما حدث ، فأصبح يطلب بدل التعويض تعويضين.

حاولت حكومة البندقية الدخول في مفاوضات مع الباي. فقامت سنة 1783م بإرسال أسطول تحت قيادة الفارس "كربني" Querini"، لكن المفاوضات انتهت دون تحقيق أية نتيجة ، حيث رفض حمودة باشا الدخول في مفاوضات ، وطلب ضرورة تعويض حسائر تجاره فطلب من "كربني" Querini" ، وجميع طاقم أسطوله مغادرة المياه الإقليمية التونسية في ظرف 24 ساعة<sup>3</sup>.

وأمام عناد ورفض البندقية المتواصل على التعويض ، « قطع حمودة ما بينه وبينهم من العهد والذمة وأمر بحريهم<sup>4</sup> » ، وفي يوم 17 جانفي 1784م أمر قراصنته الاستيلاء على السفن التابعة للبندقية و« تأخذ ما تقدر عليه من مراكب الفنسيان ، على العادة في ذلك العصر<sup>5</sup> » ، وأمام ذلك التهديد الذي كانت تعيشه دولة البندقية ،

قامت بإرسال أسطول بندقي آخر تحت قيادة القبطان أنجلو إيمو "Emo" وكان ذلك في شهر سبتمبر سنة 1784م . حاول حمودة باشا الدخول في مفاوضات مع القبطان "إيمو" "Emo"، حيث طلب من القنصل "قازو" "GAZZO" - مكلف بأعمال حكومة البندقية في تونس- أن يحرر رسالة إلى القبطان "إيمو" "Emo" أبلغه فيها مقترحات جديدة للتسوية باسم الباي ، لكن القبطان رفض، واتجه إلى مدينة سوسة وبدأ بقصفها مدة 8 أيام أين تكبدت المدينة خسائر كثيرة . وبعد مرور فصل الشتاء وفي اليوم 13 أوت 1785م، «ولما دخلت سنة مائتين و ألف استعد الكفار لقتال صفاقس بالخصوص فجمعوا كيدهم وعدتهم وعددهم... وكان اجتماعهم بمالطة فجعل كبيرهم يأمر... من أراد الذهب والفضة واللؤلؤ والجواري الحسان والسبي الكثير فليتوجه إلى صفاقس<sup>6</sup>» .

لكن هذه الحرب لم تؤثر على قوة و صمود الباي حمودة، بل زادته عنادا فبدأ يطالب تعويض 100.000 ريال بدلا من 60.000 ريال فاستعصى أمر إبرام الصلح أكثر من ذي قبل<sup>7</sup> .

وقد حاولت حكومة البندقية التقليل من شدة الصراع، وأوكلت للقبطان "إيمو" "Emo" مهمة محاولة حل النزاع القائم بين البلدين بطريقة سلمية. فقام بكتابة رسالة مطولة إلى الباي أبدى فيها رغبة حكومة البندقية في التفاوض وطلب السلم<sup>8</sup> ، وختم رسالته بعرض الصلح وطلب السماح له بالنزول إلى البر لمقابلة الباي والتفاوض معه. ولم يكن أمام الباي خيارا سوى قبول المفاوضات، وكان ذلك بعد الاستماع لنصائح وزيره مصطفى خوجة. وقرر بعد ذلك الباي حمودة موافقته بعقد الصلح لكن بشروط منها :

- أن يُبحر الأسطول البندقي بعيدا عن حلق الوادي.

- أن تدفع البندقية مبلغ قدره 60.000 ريال بندقية كتعويض عن الأضرار التي منيت بها الإيالة نتيجة قصف حلق الوادي وسوسة وصفاقس .

لم يقبل المفاوض "إيمو" Emo " بفكرة التعويضات التي طرحها الباي، فبدأ يهدد بقصف مدينة صفاقس من جديد سنة 1786<sup>9</sup> . وبعد أشهر من الحرب عاودت حكومة البندقية من جديد مطالبة الصلح من طرف المفاوض "كوندولمير" . و في هذه المرة قبل الباي الجنوح للصلح والتقليل من قيمة التعويضات . وكان لهذا القرار الذي اتخذه الباي أسبابا، أولها: وفاة عدوه ، القبطان "إيمو" أثناء تواجده في جزيرة مالطة وهو في صدد مراقبته للعمليات الحربية. ثانيها: سماعه لأخبار تقول أن دولة البندقية في استعداد لمواصلة الحرب الضروس ضد تونس وتجهيز أسطول جديد أضخم من سابقه. ثالثها: الحرب التي كانت تهدده من طرف الجزائريين .

وانطلاقا من كل هذه الظروف ، لم يكن في صالح الباي حمودة أن يواجه عدوين في وقت واحد، وهذا ما دفعه للعزوف عن مطلبه وعناده الشديد، وبدأ في التفكير لفتح باب المفاوضات من جديد مع البندقية<sup>10</sup> ، والتوصل إلى إبرام وثيقة هدنة وقعها عن البندقية مستشار قنصليتها في تونس "جورجو ليوني" "LEONI"JORJO

وهكذا استطاع الطرفان عقد معاهدة صلح نهائية بين الطرفين في 20 ماي سنة 1792م<sup>11</sup> ، بعد أن دفعت حكومة البندقية مبلغ 40.000 ريال والكثير من الهدايا القيمة مقابل الصلح<sup>12</sup> .

ونظرا لطابع الحروب الذي غلب على العلاقات بين الدولتين فإنه لا نجد علاقات ودية تربطهما وهذا بدوره سيؤثر على البعثات الدبلوماسية والسفارات، ما عدا القليل منها كتلك التي أرسلتها حكومة البندقية تحت قيادة القبطان "كربني" سنة 1783م لتهنئة

حمودة باشا بمناسبة اعتلائه العرش، بالإضافة إلى الوفد الذي أرسل لعقد معاهدة السلام والهدنة النهائية سنة 1792م بين البلدين أين قدم للباي تعويض بمقدار 40.000 ريال والكثير من الهدايا<sup>13</sup>.

### ب/ العلاقات التجارية:

بدأ التبادل التجاري بين البلدين بعد نهاية الصراع بينهما سنة 1792م، وقد لعب يهود ليفورنة ويهود تونس دورا كبيرا في إبرام الصفقات التجارية بين إيالة تونس وجمهورية البندقية، فيشترون من البندقية المصنوعات الزجاجية وشفرات السيوف وقطع البنادق، ثم تحول هذه السلع إلى تونس، التي يجلبون منها القمح والزيت ثم تحول إلى جمهورية البندقية<sup>14</sup>.

### 2/ العلاقات مع الدانمرك:

#### أ/ العلاقات السياسية والدبلوماسية:

كانت العلاقات بين البلدين متأرجحة بين الحرب تارة والجنوح إلى السلم تارة أخرى، وهذا راجع إلى تسلط الباي حمودة والشروط القاسية التي كان يفرضها على حكومة الدانمرك مقابل رفع علمها على مبنى القنصلية. وما كان أمام هذه الأخيرة سوى الامتثال لشروط الباي وقبولها حيث قَدّم الوفد الدانمركي سنة 1784م، ضعف الهدايا التي قُدمت له سنة 1782م. لكن عناد الباي ومعاملته القاسية إن صح التعبير مع حكومة الدانمرك جعلته يرفض الهدايا المقدمة له مرة أخرى<sup>15</sup>.

ولم تكن لتقبل حكومة الدانمرك عناد الباي، فأصبحت تعلن تمردا على الباي وترفض الانصياع لمطالبه، ونتيجة لهذا التصرف أمر الباي التحضير لإعلان الحرب على الدانمرك وطرد قنصلها من تونس. فبدأ الطرفان التحضير للحرب في شهر جوان من سنة 1800م

لكن الحرب لم تقع بسبب حكمة الوزير يوسف صاحب الطابع<sup>17</sup> الذي نصح الباي عدم خوض غمار الحرب لأنه كان في نفس الوقت في حالة حرب مع الجزائر، وليس من صالح الإيالة أن تخوض حربين في وقت واحد. وتمكن الوزير من تحقيق الهدنة بين البلدين... وانعقد الصلح في جمادى الثانية في سنة 1216هـ، ست عشرة ومائتين وألف الموافق لشهر نوفمبر من سنة 1801م<sup>18</sup>.

كان لدولة الدانمرك الرغبة في توطيد العلاقات الودية مع إيالة تونس فقد كانت هناك بعثة رسمية من طرف بلاط الدانمرك لتتقدم هدايا إلى حمودة باشا بمناسبة اعتلائه العرش<sup>19</sup>.

كما قامت سنة 1786م وتضامنا مع الباي في حروبه ضد البندقية بتقديم عتاد حربي تمثل في ثلاثين ألف قُلة وزن الواحدة منها رطلان وستمائة برميل من البارود، بالإضافة إلى مُعدات أخرى، وكرد فعل عن هذا التصرف النبيل قام الباي بإرسال هدايا إلى دولة مع قنصلها "هامكين" HAMKIN " والمتمثلة في ثمانية جياذ عربية أصيلة بسروجها<sup>20</sup>.

### ب/ العلاقات التجارية:

إن المعلومات التي تتعلق بالعلاقات بين الدولتين في المجال التجاري شحيحة جدا ، إذ لم نعثر أثناء بحثنا إلى ما يشير إلى وجود علاقات تجارية. حتى أن أغلب المراسلات التي اطلعنا عليها لم نجد أن حمودة باشا قام بشراء عتاد حربي أو أسلحة من دولة الدانمرك، حيث أن كل ما تحصل عليه من طرفها كان عن طريق الهدايا<sup>21</sup>.

### 3/ العلاقات مع بعض الجزر الايطالية ( نابولي ، صقلية وليفورنو) :

#### أ/ العلاقات السياسية والدبلوماسية:

قبل الشروع في الحديث عن العلاقات التي كانت بين إيالة تونس والجزر الايطالية، يجدر بنا الإشارة إلى أن مصالح رعايا نابولي في تونس ، كانت موكلة إلى قنصل البندقية الذي كان يُعتبر الممثل الرسمي لجميع دويلات شبه الجزيرة الايطالية. لكن بعد قيام الثورة

الفرنسية سنة 1789م وحتى سنة 1815م أصبحت شؤون رعايا نابولي، تحت حماية القنصل الفرنسي. لهذا فقد كلف بلاط نابولي في شهر مارس سنة 1812م "بيون BILLION"، وهو الشخص الذي كان يُدير شؤون القنصلية الفرنسية العامة بتونس، بمهمة إبرام معاهدة صلح مع حمودة باشا بسبب تعيّب القنصل "ديفواز DEVOIZ" عن الإيالة. كما حضر المفاوضات شخص آخر من مملكة نابولي وهو "ريناتو دو مارتينو MARTINO" <sup>22</sup> - قريب العليج "مريانو ستينكا" - للتفاوض مع الباي مستغلا هذه القرابة لتحقيق أهدافه <sup>23</sup>. لكن حمودة باشا رفض التفاوض بشأن الصلح مع نابولي؛ وطلب من المفاوض أن يحضر له طلب خطي من الملك <sup>24</sup>.

استأنف الرحلان المفاوضات مع الباي حمودة في شهر أبريل سنة 1813م، الرامية إلى إبرام معاهدة لافتداء الأسرى. لكن المفاوضات توقفت بسبب المبلغ المالي الباهض الذي اشترطه الباي حمودة، ولم تُطرح قضية الأسرى إلاّ بعد سنة، وبالضبط في شهر فيفري من سنة 1814م أين أوكلت في هذه المرة مهمة التفاوض إلى "مريانو ستنكا" الذي استطاع أن يقنع الباي ويتوصل إلى توقيع اتفاق في يوم 26 مارس 1814م <sup>25</sup> ومن أهم ما نصت عليه المعاهدة:

- الاتفاق على هدنة تسري لمدة سنة، تستأنف خلالها المفاوضات حول معاهدة الصلح النهائية وحول افتداء الأسرى.
- تأمين تردد سفن نابولي على الموانئ التونسية بحرية، وكذلك تردد المراكب التونسية البحرية على الموانئ النابوليتانية ولها الحرية في اصطيد المرجان.
- يجب أن يكون بحوزة كل تاجر جواز سفر مصادق عليه من طرف الباي.
- أن يتعهد الملك بدفع ما قيمته خمسين ألف قرش من هدايا وبارود وأسلحة ومدافع <sup>26</sup>.



أما بالنسبة للعلاقات مع صقلية فقد كانت تونس في حالة حرب معها نتيجة لنشاط القرصنة الممارس من كلا الطرفين، واستمر هذا إلى غاية سيطرة الانجليز على جزيرة صقلية في بداية القرن 19م، نتيجة حرب نابليون على مصر<sup>27</sup>. وقد سعت جزيرة صقلية جاهدة إلى توفير الأمن لسفنها في السواحل التونسية، فعملت سنة 1812م بإرسال بارجة انجليزية إلى حلق الوادي للتفاوض مع الباي حول إمكانية إبرام معاهدة صلح مقابل 100.000 قرش اسباني، لكن الباي رفض هذا العرض، مُبديا رغبته في حضور قائد القوات الانجليزية من صقلية للتفاوض معه مباشرة<sup>28</sup>.

استجاب الانجليز لطلب الباي ، وقدم الأميرال "سيدني سميث" Sidney Smith في أبريل 1812م إلى تونس ، وعند بدأ التفاوض حول عقد الصلح بين مملكة صقلية وتونس، طرح الأميرال عرضا مفاده أنه يتم إبرام المعاهدة باسم انجلترا. رفض الباي هذا العرض بحجة أن صقلية ليست مستعمرة انجليزية، وانتهى التفاوض بتوقيع هدنة بين صقلية وتونس مرهونة بمدة الوجود الانجليزي في صقلية<sup>29</sup>، ومن خلال هذه الوساطة استطاعت انجلترا أن تحقق لنفسها مصالح تخدمها أولها ضمان تموين تونس القوات البحرية الانجليزية بكميات كبيرة من القمح، ثانيها التزام تونس بالحياد تجاه الصراع القائم آنذاك في أوروبا<sup>30</sup>.

والجدير بالذكر أن انجلترا استطاعت من خلال وساطتها أن تعقد الصلح وتحسن العلاقات بين حكومة صقلية وإيالة تونس، فقد تم فدية الكثير من الأسرى الصقليين. حيث عمل حمودة باشا على إطلاق سراح 64 أسيرا قبضوا من طرف التونسيين، وفي حوزتهم جوازات سفر انجليزية وذلك دون دفع أية فدية، أما 394 أسير كانت فديتهم بمبلغ قدره 315 قرشا اسبانيا عن كل واحد منهم<sup>31</sup>.

كما تمثلت العلاقات الدبلوماسية في السفارات المتبادلة بين إيالة تونس و نابولي وصقلية والبعثات التي ترسل من الطرفين لغدية الأسرى كالبعثة التي أرسلها حمودة باشا إلى نابولي لغدية الأسرى التونسيين ، والتي دامت من 24 فيفري إلى شهر جويلية 1797م<sup>32</sup> .

**ب/ العلاقات التجارية:**

كانت العلاقات التجارية بين تونس و إيطاليا تتم بقدر كبير، وقد لعب ميناء ليفورنة الإيطالي دورا كبير في تنشيط التجارة بين البلدين، حيث كانت تصدر إلى تونس الكثير من جلود العليج والبقر والحمل، بالإضافة إلى الحبوب والمواد الغذائية، و قدرت إحصائيات سنوات(1794-1798م) أن السفن التي كانت تتوجه من تونس إلى ميناء ليفورنة كانت تحمل نسبة 86% من الحبوب. أما إيطاليا بدورها فقد كانت تزود تونس الصوف الاسبانية، السكر، القهوة والتوابل<sup>33</sup> .

أما التجارة مع مالطة فقد كانت شبه منعدمة في بداية حكم حمودة باشا ، بسبب ما كان يمارسه فرسان القديس يوحنا بمالطة من ضغط كبير على التاجر التونسي ، الذي لجأ لرفع الراية الفرنسية حتى لا يتعرض لخطر قرصنة مالطة . لكن الضغط بدأ يتلاشى، ابتداء من سنة 1800م بسبب الحصار الاقتصادي الذي ضربته بريطانيا على فرنسا كما سبق وأن أشرنا في دراستنا<sup>34</sup> ، فقد أصبحت موانئ مالطة في الفترة (1804-1815م) محطة عبور للسفن المغاربية عامة والتونسية خاصة إلى مختلف الموانئ ، حيث أصبحت موانئ مالطة تنافس موانئ ليفورنا وفرنسا، والموزع الأكبر للسلع في الحوض الغربي للمتوسط<sup>35</sup> .

كان يشحن من إيالة تونس كميات كبيرة من التمور والزيت والقمح ،عبر موانئ صفاقس، سوسة وتونس<sup>36</sup> فأصبح يشحن من إيالة تونس كميات كبيرة من القمح بالإضافة إلى الزيت والمواشي. و تستورد منها تجهيزات السفن والذخائر الحربية<sup>37</sup> .

## 4/ علاقات مع دول أوروبية أخرى: النمسا وهولندا والبرتغال:

كان للباب العالي دور كبير في توجيه مسار العلاقات بين تونس والنمسا بموجب نصوص المعاهدة التي أبرمت بينهما، و التي بموجبها تعهد السلطان العثماني بضمان سفن الدولة النمساوية من القرصنة، وبما أن تونس إبالة تابعة للدولة العثمانية فإنها مدعوة لإيقاف القرصنة ضد السفن النمساوية. وقد وافق حمودة باشا لهذا المطلب، وأبدى استعداداه إلى تجديد الصلح مع النمسا وكان ذلك في شهر جانفي سنة 1784م<sup>38</sup>.

أما بالنسبة لهولندا فقد كانت كمثيلاقتها من الدول الأوروبية، حيث فرض عليها تقديم الهدايا، لكن اشترط عليها أن تكون في شكل ذخائر وعتاد حربي و ذلك بسبب الحروب التي كانت تخوضها الإيالة ضد البندقية وإيالة الجزائر، لكن القنصل "نيسان" NYSSSEN " رفض طلب الباي، وحاول أن يقنعه أن هذا الأمر لم يكن معمولا به سابقا<sup>39</sup>.

وقد حاولت هولندا أن تربط مع إيالة تونس علاقات صدق وود، حيث أرسلت بمناسبة اعتلاء حمودة باشا الحكم هدايا كثيرة تمثلت في جواهر وملاحف مذهبة، و يذكر "روسو" أن قيمة الهدايا وصلت إلى ما يقارب 30.000 قرش اسباني<sup>40</sup>.

كما نجد أن هولندا كانت تسعى إلى منافسة الدانمرك لكسب العلاقات الودية مع تونس، فمع إقدام دولة الدانمرك بإرسال عتاد حربي إلى تونس، قررت هولندا هي الأخرى إرسال بارجتين بحريتين تحملان عتاد حربي بالإضافة إلى مبلغ مالي قدره 10.000 ريال ذهبي، ومقابل هذه المبادرة قام الباي بالسماح لرفع علم دولة هولندا فوق مبنى قنصليتها<sup>41</sup>.

أما البرتغال فهي الأخرى حاولت إبرام معاهدة صلح وتجارة مع تونس سنة 1799م إلا أنها لم تدم سوى ثلاث سنوات<sup>42</sup>. لكنه استطاع من خلالها حمودة أن يستغل تلك المعاهدة في كسب ود البرتغال، وأصبحت بفضل تلك المعاهدة السفن التونسية تجوب المحيط الأطلسي<sup>43</sup>.

في شهر أكتوبر من سنة 1813م عقدت معاهدة أخرى، لكن كان ذلك بتدخل بريطانيا، حيث قام وزير بريطانيا وليم آكورت، المبعوث الخاص لدى دول شمال إفريقيا، بالتوسط لدى الباي حمودة لتجديد هدنة مدتها ثلاث سنوات أخرى<sup>44</sup>.

### خاتمة:

وفي الأخير يمكن الخروج من هذه الدراسة بمجموعة من النتائج تتمثل في :

- لقد ميز العلاقات التي كانت بين الدولتين (تونس والبنديقية) طابع التوتر ، التي كان يلجا اليها الباي مرغم من اجل حماية تجار وتجارة ايالته من اعتداءات قراصنة البندقية .
- لم يكن من سهل اقناع الباي حمودة على المفاوضات والسلم ، وهذا ماحدث سنة 1783م عندما ارسلت حكومة البندقية أسطولا تحت قيادة الفارس "كربيني" Querini"، لكن حمودة باشا رفض الدخول في المفاوضات ، وطلب ضرورة تعويض خسائر تجاره فطلب من "كربيني" Querini ، وجميع طاقم أسطوله مغادرة المياه الإقليمية التونسية في ظرف 24 ساعة .
- كان لحنكة ودهاء الوزير صاحب الطابع دور كبير في توجيه الاحداث الى مجرى آخر، حيث كان له راي حكيم عندما نصح الباي الى تجنب الخوض في غمار الحرب مع الدانمارك ، خاصة وان تونس كانت في حرب مع الجزائر .
- برزت مكانة وقوة الايالة جليا من خلال الشروط التي كان يُملئها الباي على الدول الأوربية أثناء التفاوض ، ونذكر على سبيل المثال، اشتراطه على البندقية وهولندا والدانمارك . على ان تكون الهدايا في شكل ذخائر وعتاد حربي .
- حاول الباي جاهدا تشجيع التجارة الخارجية التي كانت منافسة للتجارة الداخلية ، ويظهر ذلك من خلال العلاقات التجارية المتنوعة.

- الى جانب التجارة اراد الباي ان ينمي علاقاته الخارجية عن طريق الصداقة وكسب ود الدول التي له معها مصالح .

### الهوامش :

<sup>1</sup> - للاشارة هنا لقد تم نشر مقال يتناول علاقة ايالة تونس ببعض الدول الاوربية ( فرنسا، بريطانيا واسبانيا) في عهد حمودة باشا . لذلك استطيع القول ان هذا المقال هو تكملة ان صح التعبير للدراسة التي شرعت فيها سنة 2015م .

انظر : رزيقة محمدي ، « حوانب من العلاقات التونسية الاوربية في عهد حمودة باشا ) 1782-1814م ) ، مجلة الحكمة ، عدد 29 ، السادسي الاول ، 2015م .

<sup>2</sup> - يعود زمن توتر العلاقات بين البلدين إلى فترة حكم علي باي الحسيني وبالضبط سنة 1781م حيث قام مجموعة من التجار للسفر إلى مصر لأغراض تجارية واستأجروا هناك سفينة بندقية للعودة بها إلى تونس، وفي تلك الفترة كان وباء الطاعون يجتاح بشدة المنطقة و ما لبث أن تفشى الوباء في جميع أرجاء السفينة المستأجرة، وعندما وصلوا إلى ميناء صفاقس اكتشفوا أن العديد من الركاب وطاقم السفينة قد أصيبوا بالوباء ، فرفض قائد المرسى الرشو بالميناء وأمره بالتوجه إلى العاصمة لإجراء الكرتينة، لكن القبطان البندقي لم يتوجه إلى هناك بل توجه إلى مالطة. أين عاملوا التجار التونسيين بقسوة وأحرقوا الحمولة التي كانت على متن السفينة. ولم يكن ليسكت علي باي عن هذا العمل حيث رفع شكاوي إلى مجلس شيوخ جمهورية البندقية للمطالبة بتعويض رعاياه .

أنظر: الفونص روسو، الحوليات التونسية من الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر ، نقلها عن الفرنسية و نقحها و حققها وضبطها بأمهات المصادر التونسية و قدم لها بدراسة نقدية الدكتور محمد عبد الكريم الوافي، ط1، منشورات جامعة قاربيونس، بنغازي ، تونس، 1992م، ص 240-241. ايضا انظر : احمد ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان، مراجعة و تعاريف أحمد الطويلي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976م. ج 3 ، ص 27.

- <sup>3</sup> - روسو، مرجع سابق ، ص 242-243.
- <sup>4</sup> - محمود مقديش ، *نزهة الأنظار في عجائب التواريخ و الأخبار*، تحقيق علي الزواوي و محمود محفوظ، ط 1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1988م، ج 2 ، ص 219.
- <sup>5</sup> - ابن أبي الضياف ، مصدر سابق ، ص 27.
- <sup>6</sup> - مقديش ، مصدر سابق ، ص 220. ولمزيد من التفاصيل حول الحرب انظر: نفسه، ص ص 221-227.
- <sup>7</sup> - روسو، مرجع سابق، ص 245-251 . ايضا انظر : رشاد الإمام، *سياسة حمودة باشا في تونس(1782-1814م)*، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، 1979م، ص 151-152.
- <sup>8</sup> - مقديش ، مصدر سابق ، ص 216.
- <sup>9</sup> - يمكن الإطلاع على تفاصيل أخرى حول الحرب بالرجوع إلى: روسو، مرجع سابق، ص ص 253-254.
- <sup>10</sup> - روسو، مرجع سابق ، ص 254 .
- <sup>11</sup> - ابن أبي الضياف، مصدر سابق ، ص 27.
- <sup>12</sup> - نوّد الإشارة هنا أن هناك اختلاف بين المصادر حول قيمة المبلغ الذي دفعته البندقية، فالمبلغ المذكور أعلاه ذكره روسو اعتمادا على نيسان "Nyssen"-قنصل هولندا- ، بينما ديفواز يذكر من خلال الرسالة التي بعثها إلى حكومته أن المبلغ يقدر بـ 80.000 ريال .  
انظر:

Eugène Plantet, **correspondance des beys de Tunis et des consuls de France avec la cour 1577-1830**, 3T ,alcane, Paris, 1893-1899, T3, p 211.

- <sup>13</sup> - روسو، مرجع سابق ، ص 242 / هامش 1، ص 255.

<sup>14</sup> – *Venture De Paradis, Tunis et Alger au XVIII siecle* , Ed Sandibad, Paris,1983,p 104.

<sup>15</sup> – تتمثل الهدايا في ثلاثين ألف قلة ترن كل واحدة منها رطلان، وستمائة برميل من البارود زيادة عن جواهر وأقمشة مطرزة حيث بلغ إجمالي قيمة الهدية 24.000 ليرة. أنظر: روسو، مرجع سابق، ص 257.

<sup>16</sup> – رسالة من ديفواز "Devoize" إلى تاليراند "Talleyrand"، بتاريخ 23 جويلية 1800م، أنظر:

Plantet, op.cit , p 409.

<sup>17</sup> – يُكنى بأبي المحاسن أصله من البغدان، جلب صغيرا من موطنه إلى إستانبول وهناك اشتراه بكار الجلولي قايد صفاقس وجلبه معه إلى تونس ليعيش في عائلة الجلولي، وتعلم اللغة العربية وأخلاق أهل البلاد وعاداتهم، ثم في عام 1781م وهبه صاحبه إلى الباي حمودة باشا. انظر:

S. Zmerli, « **Une fugure oubliée :Youssef saheb Et-Tabaà** »,R. T,n°21,1935, P P 37-38.

<sup>18</sup> – ابن أبي الضياف، مصدر سابق، ص 49.

<sup>19</sup> – نفسه، ص 240.

<sup>20</sup> – روسو، مرجع سابق، ص 257-258.

<sup>21</sup> – للإطلاع على تقارير القناصل الذين ذكروا الهدايا التي قدمتها حكومة الدانمرك إلى الباي حمودة ، يمكن الرجوع إلى:

– رسالة من القنصل الفرنسي ديسبارون "D'esparron" إلى حكومته، أوت 1784م. انظر:

Plantet, op.cit , p 132.

<sup>22</sup> – هو ابن أخت العليج مريانو ستنكا أحد مماليك نابولي المقربين إلى الباي حمودة ، وهو من أرقاء

نابولي الايطالية، وقع في قبضة قراصنة تونسيين وهو على متن سفينة فيها المئات من أهل بلده. حضي بمكانة متميزة لدى الباي حمودة إذ كان يثق به و يحترمه حتى أصبح "ستنكا" الكاتب الشخصي للباي و المترجم للرسائل التي يتلقاها الباي باللغة الايطالية، انظر :

M.Thomas Maggill , **Nouveau voyage à Tunis**, traduit de l'anglais avec des notes par M .Ragueneau de la Chesnaye,Paris, 1815, p13 .

<sup>23</sup> - رسالة من بيون إلى الدوق دو بازانو، بتاريخ 4 مارس 1812م، أنظر: Plantet , op.cit,p 500.

<sup>24</sup> - رسالة من ديفواز إلى الدوق دو بازانو، بتاريخ 31 ماي 1812م، أنظر: Idem ,p502.

<sup>25</sup> - روسو، مرجع سابق، ص ص 297-298.

<sup>26</sup> -Plantet , op.cit, p515.

<sup>27</sup> - Maggil, op.cit,p77.

<sup>28</sup> - رسالة إلى الدوق دو بازانو، بتاريخ 2 مارس 1812م، أنظر Plantet ,Op.cit, p 500.

<sup>29</sup> - روسو، مرجع سابق، ص 296.

<sup>30</sup> - نفسه ، ص 297.

<sup>31</sup> - نفسه ، ص 296-297.

<sup>32</sup> - Robert Montran, **Inventaires documents d'archives Turcs du Dar El Bey Tunis**, P,U,f, Pais, 1961 ,P 32.

<sup>33</sup> - لوسات فلنزي ، **المغرب العربي قبل احتلال الجزائر(1790-1830م)**،نقله الى العربية حمادي الساحلي، دار سراس للنشر، تونس، 1946م، ص 97- 98.

<sup>34</sup> - لمزيد من العلاقات التونسية البريطانية . انظر : مجمدي ، مرجع سابق .



<sup>35</sup> - Daniel Panzac, **les corsaires barbaresques la fin d'une épopée (1800-1820)**, Ed Méditerranée , France, 1999, p151.

<sup>36</sup> - Idem ,p161.

<sup>37</sup> - Lucette Valansi, « **Les relations commerciales entre la Régence de Tunis et Malte au XVIII éme Siècle** », C.T, N°11,1963,p75.

<sup>38</sup> - روسو، مرجع سابق، ص 255.

<sup>39</sup> - نفسه.

<sup>40</sup> - نفسه .

<sup>41</sup> - روسو، مرجع سابق، ص 258-259.

<sup>42</sup> - نفسه ، ص 267.

<sup>43</sup> - رسالة من ديفواز إلى حكومته ، بتاريخ 12 جانفي 1803م. أنظر: Plantet ,

op.cit ,p p 447- 448.

<sup>44</sup> - روسو، مرجع سابق، ص 301.